

كحل: مجلّة لأبحاث الجسد والجندر
مجلّد ٩، عدد ١ (شتاء ٢٠٢٣)

إحياء التاريخ عبر بيرو بريمان في كتابها "أيك ساو سات كافيان": قصة نجاة ومرونة

عائشة لطيف

ترجمة نضال مجيد

ملخص:

تكشف القصة المعقّدة للشاعرة البنجابية، بيرو بريمان (١٨٣٢-١٨٧٢)، عن صراع نسوي غير معالج داخل وخارج إطار البهاكتي والصوفي التقليدي للنفاني والانتفاض. تنتمي بيرو إلى ولاية بنجاب القديمة، تهرّبت من وضعها الاجتماعي كعاملّة جنس من الكاست الدنيا، أي من الكنجاري. فقد ثارت على هويتها كمسلمة بالولادة لإحياء نفسها كمُحبّة لمعلّمها غولابداس، رائد الغولابداسية، التي هي مذهب ديني ينتمي إلى تراث ثقافي سيخي واسع. في كتابها المعنون: "أيك ساو سات كافيان"، المسمّى "سرداً مصغراً" وفق التقليد البنجابي للكافي، تعرض فيه سيرتها الذاتية. كتبته في عهد الإمبراطور راجا رانجيت سينغ على البنجاب، وقد تميّز هذا العهد بوجود روح علمانية متسامحة دينياً. مع ذلك، إن وصف بيرو للكافي يُؤشّكّل التفاصيل التاريخية التي تصوّر "عالم ما قبل الاستعمار على أنه يوتوبيا". بات كتاب "أيك ساو سات كافيان" (المؤلف من ١٦٠ كافية) وثيقة

تاريخية ذات دلالة. تؤكد رواية بيرو مجريات الحقبة المؤلمة من الارتداد القسري، حيث أشارت السجلات في أماكن أخرى إلى وجود توترات بين الطوائف في حقبة الهند البنجابية ما قبل الاستعمار. في قصتها الشفهية العامية، سجّلت بيرو تحديّها للأتراك المسلمين والنقاد الهندوس عبر مواجهة التمثيلات الأبوية الخطابية للأنوثة. توقعت أنها كامرأة [لها حرية] اختيار السكن في غولابداس ديرا (مسكن مؤقت). تكشف قصتها أنها داخل الغولابداس ديرا، أمّنت بيرون مساحة آمنة للنساء، وبنّت تعريفاً جديداً للحرية والحبّ والنضال الراديكالي ضدّ البنى الدينية البطريركية. بالإضافة إلى ذلك، إن المناقشة الحالية تنظر إلى النص على أنه كويري وتجادل حول واقع نصوص الكافي، وتاريخ البنجاب ما قبل الاستعمار، والذي بقي صامتاً حيال وجود الشاعرات.

يمكننا تعريف الوسيلة الشعرية للكافي على أنها أغنية شعبية باللغة الأم لعامة الناس في البنجاب. كانت الأغاني الشعبية باللغة البنجابية الإقليمية جزءاً لا يتجزأ من المشهد الثقافي لمنطقة البنجاب. الكافي هو قصيدة قصيرة تتألف بنيتها من مقطعين أو أكثر، وكل مقطع يتضمّن ٤ إلى ٦ أسطر، ويتبع المقاطع لازمة. وصفت أن ماري شيمل الكافي على أنها "أغانٍ قصيرة لحنها الصوفيون لمريديهم" (ص. ٨١، كما ورد في مالهوترا، ٢١٧). من المعروف أن الشعراء من البنجاب مثل بابا فريد (١١٧٣) وشاه حسين (١٥٣٨)، وبوليه شاه (١٦٨٠) قد صاغوا الشكل الشعري البنجابي للكافي، الذي يعنّيه مختلف الشعراء والقوالين على امتداد مناطق جنوب آسيا. ولدت بيرو بريمان عام ١٨٣٢ في ولاية البنجاب الهندية المقسمة مسبقاً، وكتبت عملها "أيك ساو ساث كافيان" (١٦٠ كافية) ضمن التقليد الذي وضعه أسلافها الشعراء.

ومنذ أن هذه المناقشة تنسج حياة وعمل بيرو بريمان في سياق البنجاب في فترة ما قبل الاستعمار، من المهم إعادة قراءة تاريخ تلك المنطقة. من الناحية التاريخية، بدأ الاستعمار البريطاني للهند مع بداية القرن التاسع عشر، ولكن منطقة البنجاب كانت آخر المناطق التي وقعت تحت الاحتلال البريطاني. كانت دولة البنجاب من بين أكثر المناطق تعقيداً منذ أن كان سكانها الأصليون يتشكّلون من أشخاص متنوعين منتمين إلى مجموعات دينية واجتماعية وإثنية مختلفة. بين عامي ١٨٣٢ و ١٨٧٢، أي مدة حياة بيرو، كانت البنجاب معقل إمبراطور السيخ رانجيت سينغ (١٧٩٨-١٨٣٩). وبحسب المؤرخ المعروف هارجوت أوبيروي، التزم سكان منطقة البنجاب بنمط النظام الاجتماعي القائم على نظام الكاست الهندوسي (١٩٩٤). تشكّل عمل بيرو وسط هذه المشهدية الثقافية المشحونة حيث تكثرت الفوارق الكاستية، والطبقية والجنسية. وانعكس هذا العداء بين المجتمعات في كتاب "أيك ساو ساث كافيان".

إلى جانب "سرد السيرة الذاتية" لبيرو بريمان، يمكن تفكيك شيفرة اندماج البهاكتي والفلسفة الصوفية-الباطنية. تعرف الحركتان، البهاكتي والصوفية، ببدء أنماط الانتقال ضد الأرثوذكسية الدينية الإسلامية والهندوسية. كانت هذه إحدى الطرق التي من خلالها يحدد رواد الفلسفتين على أنهم صوفيون-باطنيون وقديسو البهاكتية الذين أثروا على حياة الناس في الهند ما قبل الاستعمار. كانت الحركتان متشابهتين في توفير الملجأ لكلّ الذين شعروا على فترة طويلة من الزمن بالاختناق من الآثار المدمرة للانقسامات الكاستية والعادات الإقطاعية والأرثوذكسية الدينية. يمكن الشعور بتأثير كبير للصوفية-الباطنية وقديسي البهاكتية في وجود روح منتفضة، تثير المهمشين اجتماعياً لتجاهلهم الهرميات الدينية والاجتماعية، وقد جرى التعبير عن ذلك من خلال أنواع مختلفة عبر التاريخ الأدبي والثقافي الهندي.

استغلت بيرو "الإمكانات الراديكالية" لقديسي البهاكتي والفلسفة الصوفية-الباطنية (مالهوترا، ٢٠١٢، ص. ١٥٢٢). قدّم أدب البهاكتي اللغة الأكثر إثارة للشعراء، وبذلك اعتمدت على موضوعات عن الحب والانفصال واتحاد الأخير مع المحبوب من الشعر البهاكتي المبكر الذي ألفه شاعر القرن الخامس عشر، كبير، وشاعرة القرن السادس عشر، ميرا باي. ومنحها الفكر الصوفي-الباطني بأنماط يمكن من خلالها مساءلة التمييز على أساس الكاست والطبقة.

في النص الشعري بكتاب "أيك ساو ساث كافيان"، تتذكر الشاعرة البنجابية حقبة من حياتها غير التقليدية. تكشف تفاصيل السيرة الذاتية المتوفرة على نحو ضئيل أن بيرو بريمان تنحدر من عائلة مسلمة، وتنتمي إلى عائلة من فئة دنيا ضمن نظام الكاست من مدينة كاسور والتي كانت تسمى أساساً "بيرانديتي". يترجم اسمها بشكل تقريبي إلى هدية من القديسين. ولأن كتاب "أيك ساو ساث كافيان" يدلّ بشكل شديد على معرفتها العميقة بالنصوص الدينية والأسطورية، على ما يبدو أن بيرو قد تلقّت دروسها في بعض المدارس المحليّة (مكان للدراسة أو أكاديمية). وكشابة صغيرة، أُجبرت على العمل في نُزل للعمل الجنسي في مدينة لاهور، في وسط البنجاب. سحقتها واستغلّتها الظروف الصعبة، التقت بيرو الزعيم الروحي الكاريزماتي غولبداس، "المعلم المنشق" (مالهوترا، ٢٠٠٩، ص. ٥٤٩)، في إحدى دور العبادة بلاهور، قررت تغيير مسار حياتها. تخلّت عن مهنتها وهويتها الدينية، وقطعت في الوقت عينه علاقاتها مع ماضيها، وكوّنت حياتها في غولابداس ديرا (منزل مؤقت) تحت وصايته. وأعلنت انشاقها عن معتقداتها الدينية، الأمر الذي كان في نظر المسلمين خطيئة لا تعترف. في كتاب "أيك ساو ساث كافيان"، تتذكر كيف كانوا يتكلمون معها:

مسلم يتكلم (واحد منهم) من هي هذه الشوراي (الساحرة)؟
بعد أن انشقت عن ديننا، كيف يمكنها المغادرة؟ (ص. ١١٢، مقطع ٤١)

أقرب معنى لكلمة شوراي باللغة الانكليزية هو "ساحرة"؛ وأن توصم بهذا الوصف كان اتهاماً كبيراً، لأنه يلمح إلى أن المرأة هي تجسيد للشر، أي الخشية من أنثى الشيطان وشمها في الوقت عينه. في السردية الشعرية، يشعر المسلمون المشار إليهم بعبارة "أتراك" بدايةً بالانزعاج، وبالغضب اللاحق بسبب تبنيها للفلسفة الروحية الجديدة التي دعا إليها غولابداس. لم تخف ولم ترد على مطالباتهم لها بالعودة إلى المجتمع المسلم من خلال العودة إلى دينها السابق.

تتقاطع قصة بيرو بريمان مع قصص النساء المتمرّدات في كل أنحاء العالم؛ فقد كتبت غلوريا أنزالدوا في كتاب الأراضي الحدودية (*Borderlands*): "تحاول أغلب المجتمعات التخلّص من الانحرافات فيها" (ص. ١٩). دفعت بيرو، التي تميّزت بكونها معارضة ومنتشقة، ثمن التمرد. فتعرّضت للتهديد والملاحقة والخطف والاضطهاد من قبل المسلمين الأتراك. في عملها، تتذكر الأحداث الصادمة في حياتها السابقة، وتختتم أخيراً بعد أن استطاعت النجاح في مساعيها للانضمام إلى المجتمع الروحي بقيادة غولابداس.

كانت البنجاب مركزاً إدارياً وصناعياً هاماً لشبه القارة الهندية التي احتلها المماليك الأتراك في بداية القرن الثالث عشر. سجّل المؤرخ الفرنسي أموري دو ريانكور هذا الاجتياح، وسماه "الامبريالية الإسلامية" التي بدأت، بحسب رأيه، عندما دخل المالك إلى الهند (ص. ١٦٥). وهذا ما أكدته روميل تابر التي كتبت أنه بحلول القرن الخامس عشر، تأسس الحكم التركي والأفغاني في كل أنحاء شبه القارة تقريباً (ص. ٤٣٥). ويشير

^١ كل الاستشهادات من كتاب أيك ساو ساث كافيان هي من ترجمة الكاتبة.

^٢ يفارن كرابانزانو (١٩٨٠) "شوراي" مع الشيطانة "المتقلبة والانتقامية" المدعوة "الجنية".

تأنيير أنجوم إلى الحلقات المفقودة من التأريخ الهندي والتي تجاهلت الأحداث الأساسية مثل "العسكرة التركية" في تحديد بداية الحكم الإسلامي في الهند (ص. ٢١٨).

عندما استولت الجيوش التركية على الحصون في شمالي الهند عام ١٢٠٦ اعتبر ذلك "نقطة تحوّل" في تاريخ شبه القارة من قبل سينثيا تالبوت: "لقد رسخت نفسها في الهند وعلى المدى الطويل غيرت المناخ السياسي والثقافي في المنطقة" (أشر وتالبوت، ص. ٢٥). ذهب ريشي سينغ أبعد حين كتب أن اجتياح البنجاب في القرن التاسع عشر من قبل "الترك والمغول والأفغان والفرس" أدى إلى إقامة مجموعة مهيمنة اجتماعياً مؤلفة من "نخبة المسلمين" (ص. ١٤). يذكرنا النص الشعري لبيرو بريمان أنه خلال حياتها، كان المجتمع البنجابي ما قبل الاستعمار منقسماً بشكل حادّ بين المجموعات الدينية للمسلمين وغير المسلمين. يُعتبر الحضور القوي للانقسام الديني مفاجئاً للروايات التي ترمس حكم الإمبراطور السيخ رانجيت سينغ، الذي يعتبر البعض حكمه من أكثر الفترات التي شهدت سلماً وتسامحاً دينياً في التاريخ الهندي.

على ما يبدو أن الأتراك المسلمين قد جاؤوا بنسخة من الإسلام كانت الأكثر أصولية وأرثوذكسية من النسخة الهندية المحلية للإسلام، والتي تسمى كذلك الإسلام الشعبي في شبه القارة. يعتبر أنيس داسغوبتا أن النخبة الإسلامية السياسية والدينية قد أسست لهيمنة ثقافية: "كانت الجماعات الإسلامية الهامة، التي رافقت زعماء العشائر التركية، تتألف من التجار والإداريين وقادة السلك الإمبراطوري، والمولويين الأرثوذكس والأدباء" (ص. ٣١). ونتيجة الغزو التركي، استعمل المولويون اسم "الأشرف"، الكلمة التي تستعملها النخبة الدينية والفكرية بين المسلمين، مقابل الطبقات الدنيا، المسماة "الأجراف"، الذين جرى التعامل معهم بكرهية وشكّ.

من دون شك، أن كتاب "أيك ساو سات كافيان" هو تأريخ لما يبدو أنه عالم شديد الاستقطاب انحدرت منه بيرو. عبرت عن غضبها ضد المضطهدين الأجانب، وانتقدت القضاة والمولويين، ورجال الدين المتعلمين، الذين سمّتهم دوماً بـ"القساة" لاستقامتهم الذاتية وغرورهم ونفاقهم. يشبه تويخ بيرو بكتابات بوليه شاه، الشاعر الصوفي القرن الثامن عشر والمعروف بشعره الشفهي من نوع الكافي. أدان بوليه شاه العلماء، وعلماء الدين المتعلمين، على زيفهم وادعاءاتهم. كما أدانت بيرو صراحة كل الأيديولوجيات الدينية المهيمنة في زمنها، من بينها الهندوسية والسيخية والدين الإسلامي لتقسيمهم عامة الناس إلى تيارات مختلفة. مع ذلك، فإن مساءلتها الثاقبة البصر لإقصاء النساء عن الديانات والروحانيات تعطي صفة بلاغية على النص، إذ تقول:

لقد حبسنا الأتراك في شريعة الإسلام، وسجنّا الهندوس كذلك،
واحدما يتبع الغرب، وثانيهما الجنوب...
محاصرون بطرقهم العديدة
بالنسبة للهندوس، الضفيرة لها مغزى،
ما علاقتهم بالنساء؟
الطرفان لا يعلمان. (ص. ١٤٢-١٤٣)

^٣ استعمل وشرح أساني (٢٠٢٢) مصطلحي "أشرف" و"أجراف".

يتضمن كتاب "أيك ساو سات كافيان" طرقاتاً مختلفة تستعمل فيها بيرو بريمان وكالتها عن نفسها مؤكدةً خياراتها. يذكر ريانكور أن المحتلّين الأتراك (الذين باتوا فعلياً من الفرس) قد فرضوا ثقافة غريبة على الهند من خلال اللغة الفارسية والتأثيرات الأدبية (ص. ١٧٤). وبالنتيجة، كانت الفارسية والبراج والسنسكريتية هي اللغات المستعملة، في الكلام والكتابة، في المستويات العليا (سينغ، ص. ٢٧). لذلك يمكن قراءة سرد بيرو لقصتها باللغة البنجابية، والتي كانت بمتناول عامة الشعب، على أنه تنفيذ لوالتها. وعلى العكس من الأدب بلغة النخبة، يصور الخطاب باللغة الأم "تجارب الحياة اليومية" لعامة الناس (نوفيتزكي، ص. ٣٤). يكشف كتاب "أيك ساو سات كافيان" الحياة اليومية للثقافة البنجابية والناس العاديين. من الأمثلة على ذلك وصف بيرو لمشهد اجتماع الناس لمشاهدة والاستماع إلى غولابداس:

لقد وصل إلى لاهور بوجهه الساحر
اسم البازار موتي، يجلس عند أعلى مستوى
تنتشر الملاة على السرير، الذي يحتل المكان
يجلس مستقيماً ويراه الجميع ساحراً
يضع غطاء رأس كالعامود
لقد جاء كل الرجال والنساء من لاهور لزيارته (ص. ١١٥)

قدّم ألف لودتكي فكرة *Alltagsgeschichte* (تاريخ الحياة اليومية)، والرامية إلى استكشاف "الأبعاد التجريبية والذاتية" لـ "حياة أولئك الذين بقوا مجهولي الهوية إلى حد كبير في التاريخ" (ص. x). وعلى العكس من التاريخ التقليدي، يُعدّ هذا النهج بديلاً لفهم التاريخ، ويعتمد بشكل أقل على البنى الكبرى والأرقام والأحداث، إنما بدلاً من ذلك يركز على تحليل التمثيلات للتفاعلات اليومية الموجودة في النصوص المختلفة.

المشهد المذكور أعلاه في "أيك ساو سات كافيان" هو تذكير آخر بمجتمع بنجابي ما قبل الاستعمار المنقسم إلى كاستات وملل وإثنيات. كان غولابداس (١٨٠٩-١٨٧٣)، الذي استلهم من "مصادر متعددة تضمّنت أفكار بهكاتية والصوفية الهامشية"، مؤسس طائفة روحية توحيدية أكثر شمولية واحتضاناً للجميع (مالهوترا، ٢٠٠٩، ص. ٥٤٩). ليس مستغرباً أن تختار بيرو غولابداس كقائد روحي لها لأنها تشير في كتابها إلى نفسها كـ "سودار"؛ أي شخص من الكاست الدنيا. ويبدو أن طائفة غولابداس كانت واحدة من الطوائف الروحية العديدة في البنجاب التي أمّنت ملجأً لمجتمعات الكاستات الدنيا المهمّشة اجتماعياً. يسجل ميشال بوافين أنه في ذلك الوقت على وجه التحديد "كانت الهند عرضة لأي فلسفة جديدة للحياة من شأنها التخلّص من البنية الاجتماعية الظالمة التي فرضها النظام الكاستي" (ص. ١٧٧). تذكر دراسة بوافين إلى العديد من "المسارات الروحية" مثل "داريابانث أو الناناكبانث"، مع أطر روحية مرنة انتشرت في مستعمرة السند. رغم ذلك، إن

^٤ ولدت بيرو مسلمة، ولم تسمح تعاليم الإسلام بأي تمييز اجتماعي على أساس نظام الكاست. مع ذلك، في شبه القارة الهندية، بقي نظام الكاست قائماً ولا يمكن فصله عن كل المجتمعات.

استعداد غولابداس لإدخال بيرو في مجتمعه هو دليل على النطاق الواسع للإدماج الممتد نحو المضطهدين، بحيث لم يستبعد عمال/عاملات الجنس.

تعطي الأحداث المحددة المذكورة في القصيدة مزيداً من التفكير بالوسط الاجتماعي-السياسي الأشمل، خاصة عندما تستحضر بيرو بنبرة مثيرة أكثر الأحداث الصادمة في حياتها السابقة. ينبغي فهم عرضها لمشهد مواجهتها للملاي والقضاة ضمن سياق أشمل. اعتبر القضاة والملاي أن بيرو بريمان هي جزء من مجتمعهم، وأصرّوا على أن تقرأ "الشهادة" حتى تعود إلى الإسلام. في مشهد انفعالي، تجلس وسط مجموعة من الناس، وعندما دخل القضاة إلى الغرفة رفضت اتباع طقوس الترحيب المعتادة من خلال الوقوف لهم. وبعد مساءلتها عن سبب عدم احترامها للتقاليد، واجهت بيرو أخصامها المكوّنين من الرجال والنساء. يشبه هذا المشهد كثيراً حادثة من رواية وارييس شاه الخرافية بعنوان هير-رانجا، حيث يسأل رجل الدين في القرية هير (الشخصية النسائية الأساسية [في الكتاب]) عن تصرفاتها الطائشة، من بينها رفضها عرض زواج محضراً مسبقاً. تجادل هير مع رموز السلطة الدينية "لأنها تعيد تفسير تفسيرات القضاة المسلمين" (كاظمي، ص. ٦) في دراسة حديثة، حللت الباحثة من جنوب آسيا، سارة كاظمي، حجج هير عن كذب، والتي تشير بحسب رأي كاظمي، إلى صوت نسائي معادٍ للتقاليد. مع ذلك، ومقارنة مع الشخصية الخيالية لوارييس شاه، إن حجج بيرو وحديثها كانت أكثر صراحة وشجاعة.

تؤكد أنشو مالهورترا (٢٠١٢، ص. ١٥٠٧) أن بيرو، "العاهرة المسلمة"، قد اختارت طريقاً روحياً يوفّر الخلاص الروحي للمهمشين اجتماعياً وثقافياً. ورفضت اللجوء إلى أي أيديولوجية دينية، إذ تعتبر أن الأديان تفشل في إعطائها الطريق لتحقيق الخلاص والحقيقة. هي تخبر صديقاتها، ورفيقاتها، أن "الأتراك والهندوس لا يمكنهم مساعدتنا على اجتياز الطريق" (ص. ١٢٦). وبالتالي، إن ردة فعل الأتراك على انشقاق بيرو – رفضها الواضح للأيديولوجيات الدينية الأرثوذكسية – أثار خوف العشيرة من المنشقة التي "هي مختلفة، ولأنها أخرى، وبالتالي أقل، وبذلك أقل من البشر، وغير إنسانية وغير بشرية" (أنزالدوا، ص. ١٩). في البداية، مُنحت العزاء والمكافآت لتشجيعها من قبل صديقاتها، السهالية، للعودة إلى العشيرة: "أنت جميلة جداً؛ يجب أن تأكلي أفضل طعام وتزيني نفسك... نحن هنا لحمايتك". (بيرمان، ص. ١٢٠). وهذا تذكير بالادعاء العام بأن "الثقافة (إقروؤا/ان الذكورية) تدّعي حماية النساء" (أنزالدوا، ص. ١٩). ما هو واضح لبيرو هو أن الوعود متقلبة وعبثية، وبذلك لم تعد تهتم بالحياة المادية بعد الآن.

يذكر بحث مالهورترا اللافت حول حياة بيرو وبيرمان وعملها بأن بيرو كانت عاملة جنس وتدرّبت في نزل للعمل الجنسي على الغناء والرقص، وقد استفادت من هذه المهارات في كتاباتها وسردها. وهذا ما أكدته غوربريت بال التي ذكرت أنها، أي بيرو، كانت من المحظيات المرغوبات جداً، وقد زارها الجنرال القوي لجيش رانجيت سينغ (ص. ٩٥). وبالتالي، إن كتاباتها تشبه أداءها على المسرح. بدا [في الكتاب] أن بيرو تقريباً كانت تؤدي عرضاً للجمهور لأنها تتكلم إلى نفسها وتتحدث مع شخصيات أخرى. يتناوب صوت بيرو الراوية لقصتها بين ضمير المتكلم المفرد (أنا) وضمير الجمع (هم) ضمن النص الشعري. لكن الأجزاء الأكثر درامية في القصة تبرز تفاصيل تعرضها للمضايقة والاضطهاد من قبل المسلمين الأتراك. في إحدى المشاهد يقول المسلمون الأتراك بصوت مرتفع:

تأتي بالضربات حتى تؤذي جسدها
مرتعبة، ستعيد الشهادة إلى فمها فوراً
عندما تُجأ بالسوط، ستقول الشهادة صراحة... (ص. ١٢٥)

يعلق عمل أ.ك. رمانوجان على النصوص الهندية في العصور الوسطى لإظهار "الانعكاسية". في عدة نواحٍ، تظهر هذه التجربة المفاهيمية في كتاب بيرو "أيك ساو سات كافيان". وبحسب رمانوجان، "الانعكاسية" هي سمة أساسية في الكتابة تساعد على خلخلة الأعراف التقليدية. كما يلاحظ رمانوجان أن "الانعكاسية تأخذ أشكالاً عديدة: الوعي بالذات وبالأخرين، الانعكاس، والتحريف، والتهمك، والتمثيلات العائلية والتمرد... (ص. ١٨٩). يمكن قراءة الانعكاسية في "أيك ساو سات كافيان" بعدة طرق، ومن الأمثلة على ذلك مساءلة بيرو المتقاطعة للقضاة التي تدل على "لغة المعارضة" (رمانوجان، ص. ١٩٠). مثل آخر على هذه الانعكاسية هي الطريقة التي تظهر فيها بيرو وعياً ذاتياً كبيراً لأنها تصف نفسها كريمة وشجاعة وحكيمة؛ وهذه الصفات من شأنها أن تساعد على تحويل الأعداء إلى أصدقاء:

إلى جانب التضرع إلى غورو، لبيرو ثلاث قدرات
إنها كريمة وشجاعة ولا تخشى شيئاً
وهذا ما يكسب بيرو بعض الصديقات
إنهم سيكون قلوبهم حين يرون حالة بيرو. (ص. ١٣٢)

يكشف وعي بيرو الشديد لظروفها ما تسميه ساندر جيلبير "الكثير من الرتيلاء في القانون البطريركي" (ص. xii). تعتبر معرفة بيرو بريمان بالتقاليد الدينية والثقافية ميزة أخرى للكتاب. فهي تواجه الرجال مشككة بكل شجاعة بتقاليد الختان الإسلامي. في مثل آخر، تحذّر المسلمين الأتراك من اعتماد التقليد القديم المتجسد بوأد الإناث. رفضت بيرو التخلي عن المسار الروحي المثالي الذي اختارته، باتت "وحش الظل الذي يدفع الرجال إلى الغضب والخوف" (أنزالدوا، ص. ١٨) كانت على إدراك من أن مخالفة التعاليم الدينية ستؤدي إلى معاقبتها عقاباً لتربية الآخرين/ات بها. درست تاريخ الشعراء الثوار السابقين، وموضعت نفسها بالانتماء إلى سلالة كبير ومنصور الحلاج، الذي أعدم بفسوة عام ٩٢٢ م. لإدعائه "أنا الحق". بيرو نفسها صوفية وباحثة عن الحقيقة، وطبيعة التصوّف تتضمّن تجربة شخصية للخالق، وهو معتقد يفهم وفق منطوق عبارة "أنا الحق". وبحسب علي أساني، هذه الفلسفة الصوفية المثيرة للنقاش لعبارة "أنا الحق" تعتبر خطيرة لأنها تجتاز الخطوط الفاصلة بين الخالق والمخلوق. هذا التأمّل المذهل في طبيعة الحقيقة موجود في كتاب "أيك ساو سات كافيان". تعتبر أنشو مالهوترا أن النص الشعري مغمور في الفلسفة الصوفية الهندوسية لأدايفاتا (٢٠١٢، ص. ١٥٠٦). إضافة إلى ذلك، يردد كتاب بيرو بريمان سياسات المقاومة التي تشبه الصوفيين "المالماتي": الصوفيون الذين لاموا أنفسهم عبر الظهور بمظهر غير المخلصين أمام الجمهور. رغم ذلك، تكمن براعة بيرو في التغلب على المجموعتين الصوفيتين، هندوسية فيدانتا، والصوفية، دون اتباع أي من التقليدين بشكل أعمى.

تظهر بيرو بيرمان البراعة في الطرق التي غيرت في نوع الكافي. على الرغم من أن نصها يندرج ضمن الكافي البنجابي التقليدي الذي أسسه شاه حسين وبوليه شاه، لكنها لم تقلد بكل بساطة الشكل والبنية التي استعملها الكتاب المذكور. بدلاً من ذلك، مزجت في كتاباتها بين عدة أنماط. يشير نصها، من حيث الشكل والمضمون، إلى كويرية في الشكل. على نطاق واسع الاستعمال، باتت كلمة "كوير" تتضمن معانٍ مختلفة. يستعمل تاريخ فن العصور الوسطى المصطلح لتعريف الأعمال "المتحدية لمعظم التصنيفات الأكاديمية" (ويتينغتون، ص. ١٥٩).

ضمن تحليل كارل ويتينغتون، جرى تعريف مصطلح كوير بأنه خرق "للحدود التاريخية والأكاديمية" (ص. ١٦٥). تستعمل ساندر جيلبير مصطلح كوير للنصوص "الجريئة، والغاضبة والمرحة والعدوانية" (جيلبير، ص. xxv). تلاحظ أنشو مالهوترا أن بيرو تحرر الكافي من البنية العروضية، أي تكرار الأبيات (٢٠١٧، ص. ٥٧). أما بحسب وجهة نظر كارما لوتشري فإن القراءة الكويرية للنص "تبحث عن عدم الانسجام والفجوات والتجاوزات في المعنى" (ص. ١٨٠).

بتجاوزها للأنماط الشعرية، وقرت بيرو طرقاً بديلة للكتابة أو أنماطاً تمثل الكويرية. حلل باشا خان النمط البنجابي، القيسا، وحاجج في جوهره غير المتجانس. وبغض النظر عن المفاهيم الإنسانية الغربية المرتبطة بـ"نقاء الأنماط"، كتب أن الفكرة التي تقول إن الأنماط يمكن أن تكون نقية لا تصمد أمام التمهيص (ص. ٢٠٦). يمكن اعتبار انشاق بيرو عن التقاليد الشعرية بأنه كويري، حيث أنها تخلخل النمط من خلال دمج قصتها ببنية الكافي. يمكن أن تمتد هذه الفكرة إلى الطرق التي تقابل فيها بيرو الشخصيات الأسطورية الرومانسية الهندوسية، مثل سيتا وراما، مع القديسين الصوفيين مثل كبير، ومنصور الحلاج في النص. في أمثلة أخرى، تكتب بيرو النص مع ما يمكن قراءته كعناصر روحية وإيروتكية. أشارت نيتي سينغ، إحدى أوائل المترجمين لأعمال بيرو بريمان، إلى الطريقة التي تكتب فيها بيرو "روح وجاذبية الطوائف الصوفية وصدقها" (ص. ٣٨). تشير سينغ إلى "تلاشي الحدود" في شعر بيرو، خاصة في الطريقة التي تمزج "الروحي والجسدي" في أعمالها (ص. ٣٩). تشير لوتشري إلى أنه في سياق تفسير نصوص العصور الوسطى يجب فهم كلمة "كوير" على أنها تجاوز لقيود الفئات "مثلي أو مثلي-إيروتكي" (ص. ١٨١). بالاستناد إلى وجهة نظر لوتشري، تظهر الكويرية في شعر بيرو "على النقيض من الحب العلماني والصوفي التقليدي" (ص. ١٨١). يشير سكوت كوغل إلى اختلاط الجوانب الجنسية والروحية في ولّه شاعر القرن السادس عشر شاه حسين مع حبيبه الهندوسي البراهماني مادو لال. يسمى كوغل هذه الظاهرة "اتصال روحاني كويري بالجنسانية" (٢٠٠٧، ص. ١٩٤). يظهر الارتباط الجسدي بالروحي عبر تبادل السوائل الجسدية: "إنه موضوع ثابت في التقاليد الإسلامية حيث أن الفكر الصوفي ينتقل عبر الاتصال الجسدي، خاصة من خلال تبادل الشراب أو اللعاب" (ص. ١٩٥). وبشكل غير مفاجئ، في كتاب "أيك ساو سات كافيان"، الرابط الذي لا يمكن تفسيره للإثارة الإيروتكية والروحانية ينتقل عبر مشاهد الانغماس في الطعام؟

° وفقاً لكارما لوتشري، تضمنت النصوص الصوفية المسيحية في العصور الوسطى "صور الجوع والنهم" والتي ترمز إلى الإيروتكية والجنس (ص. ١٨٤).

لقد أشبعت نفسي بأكل التوت الحلو
لقد ذقت توت حبك الحلو (ص. ١٠٢)

أغنيها [بيرو]، "أيك ساو سات كافيان"، شخصية وتاريخية، تعمل التفاصيل على تقديم لمحة عن حياة بيرو، وتاريخ الأماكن والأشخاص المهمين بالنسبة لها. وهذا يتلاقى مع ملاحظات غلوريا أنزالدوا بأن كتابة المرأة لا يمكن فصلها عن حياتها. وكم هو مدهش كيف يتيح نص بيرو للقارئ الوصول إلى المساحات الموجودة في محيطها المباشر. وفي حين كانت تُنقل قسرياً من مكان إلى آخر وتُحتجز في مبنى من أربعة طوابق، عبّرت بيرو عن شوقها العاطفي إلى مدينة لاهور، مكان لقائها الأول مع غولابداس:

أنا مستاءة ومضطهدة
أبعدوني عن مدينة لاهور المزدهرة، لحبسي
لا أخوات/صديقات معي، أرسلت لوحدي (ص. ١٤٤)

للتعبير عن قلقها العاطفي كامرأة وحيدة، استحضرت الطائر الرمزي كونج، الطائر البنجابي الهندي "الطويل الأرجل والعنق"، ويظهر في قصيدة رمايانا الملحمية. تحدثت جوليا ليزلي عن أهمية الطائر في رمايانا، الذي تجسد صرخته معاناة سينا وألم الانفصال عن حبيبها رمال (ص. ٤٧٠). يرمز الطائر في "أيك ساو سات كافيان" عند بيرو إلى الوحدة الوجودية التي تغرس إحساساً عاماً بالتأمل الذي نجده في كل أنحاء النص. لاحقاً، أحالت إلى سينا وراما باعتبارها قصة حب أسطورية واستفزت معلمها للقيام بدوره في إنقاذها. عند هذه النقطة، يمتلئ النص بالنغمات الإيروتيكية بشكل غريب. تسمي غوروها "جاني"، والذي يمكن أن يعني كذلك العراف والمشعوذ والمحبوب. تجسد بيرو النظرة الكويرية للشاعرين الصوفيين شاه حسين وبوليه شاه، وخاصة في العبارات المجازية التي تعبّر عن إخلاصها العميق وحبها للغورو. يلقي روث فانيتا وسليم كيداوي الضوء على وجود الرغبة غير الجوهريّة وغير التقليدية في شعر شاه حسين وبوليه شاه، والتي تُعتبر باعتبارها جزءاً أساسياً في تاريخ الكويرية الهندية (ص. ١٨٣). أظهر سكوت كوغل الجوانب الاخرافية لحياة شاه حسين الصوفي في عرضه لسيرة القديس الصوفي بعنوان "حقيقة الفقراء" (حقيقة أولئك الذين أفقرهم الحب). القديس الصوفي والشاعر شاه حسين "لم يتزوج أبداً، ولم يرب أطفالاً، وأصبح قائداً بطريكيّاً للأسرة وكان على ارتباط إيروتيكي مع رجل لم يتزوج بدوره" (٢٠٠٠، ص. ١٨٤). أعلن كوغل أن هذه كانت طريقة شاه حسين لـ"قلب التوقعات الجندرية"، وليس مستغرباً بالتالي، أن الحياة الصوفية هي في الغالب انشاقية (٢٠٠٠، ص. ١٨٥). كذلك، عاشت بيرو بريمان حياة خارج الأعراف والأشكال التقليدية. وقد قاومت وصفها بأنها زوجة أو والدة ولم يكن لها انتماءات مع الذكور في اسمها. وكسلفة الشاعرات البهاكتي، ميرا، لا ديد، أو أكا مهديفي، تبتعد كذلك عن الزوج نحو شخص يشبه كياناً إلهياً أو الإله.

يتطلب ولها الشديد لمعلمها غولابداس، أن نتخذ منظوراً جديداً لمعاني الرغبة والحب الجنسي. وحتى نستعير من هيلين سيكسوس وكاثرين كليمان، إن علاقة بيرو مع، "الليبيدو"، براعتها الجنسية، واسعة إلى أبعد الحدود (ص. ٨٨). وفي وقت تحدثت فيه عن الغورو الرائع ومعجزاته، شاركت بكتابة التاريخ بشكل مختلف عن عالم المؤرخين أصحاب الامتيازات الذي يهيمن عليه الرجال. أمضت بيرو ما بقي من حياتها في غولابداس ديرا.

وليس مستغرباً أن تدفن بيرو وغولابداس معاً تقريباً وفق نفس التقليد الذي دفن فيه شاه حسين ومادو لال في مقبرة واحدة.

كان قرار عاملة جنس سابقة أن تعيش بقية حياتها باحثة عن الخلاص الروحي "فاضحاً"؛ حتى أن حركتها الفعلية هي أكثر "انشقاقية" (مالهوترا، ٢٠٠٩، ص. ٥٤٦). إن الاثنتين، بيرو وغولابداس، قد تشاركا "علاقات حميمة" من دون وضع قانوني يتيح علاقاتهما الانشقاقية (ص. ٥٤٨). تصف مالهوترا محاولة بيرو الانتقال من حالة عاملة جنس إلى العيش كشريكة مع الغورو اعتبرت "غير معقولة" (٢٠١٢، ص. ١٥١٥). إن خيارها العيش بقية حياتها كامرأة غير متزوجة في غولابداس ديرا وضعتها في "موقف حرج" (ص. ١٥١٧). كان مكاناً خطراً لاحتمال حصول فضيحة، خاصة بالنسبة لامرأة كانت تعمل في الجنس بالسابق. وبالتالي، بحسب وجهة نظر مالهوترا، كغيرها من الشخصيات النسائية البهاكتية مثل ميلا باي، إن بيرو لم تصبح "نموذجاً للفضيلة النسائية" (ص. ١٥٢١). بحسب وجهة نظر شارادا شاتيرجي، "باتت الكورية ملجأً للعديد من الأشياء مع الوقت" (ص. ١). بالنسبة إلى شاتيرجي، إذا كانت الكورية تشكّل فرقاً عن الغيرية الجنسية، فيمكن كذلك فهمها ابتعاداً عن المعيارية على أساس الغيرية الجنسية (ص. ٢). كذلك، تعتبر سارة أحمد أن سياسات الكورية امتدت الآن لتتضمن "معادة المعيارية" كمقاومة لكل أشكال المعايير: وبسبب ندرة الخيارات، حياة الكورية "تتجنب الاستيعاب" أو "تتعلم كيفية التعايش مع السيناريوهات المتاحة للعيش والودّ" (ص. ١٥٥). وبالتالي، في كثير من النواحي، تجسد بيرو حياة الكورية. تسجل مالهوترا في دراستها أن الأتباع الحاليين لغولابداس، مثل مجتمع الغولبداسي، يشيرون إلى بيرو بريمان كشخصية أساسية تعرف باسم ماتا بيرو (الأم بيرو)، وذلك بالتأكيد للتخلص من إرث المرأة الجنسي. أكثر من ذلك، إن هذا يدلّ على محاولة الأتباع الروحيين شطب من عاملة الجنس السابقة، التي تحولت إلى زوجة، إرثها الكوري.

لقد أتاح الانسياب الدلالي الذي توفره كلمة "كوير" فرصاً للباحثين لتوسيع مجال المعاني المرتبطة بها. كما أفسح مجالاً للغوص في الهويات والأوصاف المتعددة التي لا تتماشى مع التقليدي. وبحسب تايسون بوغ، إن مسار الأنواع الكورية تتضمن "خلخلة استقرار توقعات الجمهور النموذجية من خلال موقف محدد للانشقاق عن موقع الموضوع" (ص. ١١٩). يخلخل "أيك ساو ساث كافيان" المفاهيم السابقة للكافي حيث تميّز الكافي الوسيط، الذي هيمن عليه الشعراء، بأغانٍ صوفية قصيرة. وقرّ تطور الكافي من أغانٍ قصيرة إلى شكل شعري سردي للباحثين فرصة للتفكير بالتناقضات الناتجة عن نص بيرو بريمان. في "أيك ساو ساث كافيان"، تؤكد بيرو على تجربتها كامرأة مسلمة من الطبقة الدنيا في نظام الكاست المضطهدة في العصور الوسطى بالهند، ولكنها إلى جانب ذلك "تعيد تكوين معالم الموضوع والشيء" من خلال اتخاذ موقع الموضوع (ص. ١٢١). تصبح الأرضية أكثر صعوبة خاصة عندما تهين بيرو الأتراك المسلمين عبر استعمالها للغة حادة. استغلت قدرة الكافي للتعبير عن مشاعرها وبالتالي، تثير إمكانية كورية (ص. ١١٧). تشتم بيرو الأتراك المسلمين، بعبارة "ماجان كي كوكري" (كلاب الدين)؛ وفي إحدى الأمثلة، اتهمتهم بعبارات مهينة مثل "دي كي لور" (أولئك الذين يغتصبون الفتيات) (مالهوترا، ٢٠١٧، ص. ٨٩). استعمالها الجريء للشتم في "أيك ساو ساث

^٦ خالد (٢٠١٨).

^٧ دعم لبنان، قاموس الجندر، ٢٠١٦، ص. ٢٨.

كافيان"، كان صادماً ومثيراً في وقت واحد، وتغيير الوصف والسياقات في السرد الشعري يضيف تعقيداً إلى النص.

في قصائدها، تظهر بيرو كحبيبة شغوفة، وصديقة حنونة، ومؤمنة عاطفية، في حين أنها شخصية هجومية، منبوذة اجتماعياً، ومنشقة غاضبة. من جهة، يصبح نصها المكتوب نفسه شاهداً على الوقت الضائع للقراء الحاليين، ومن ناحية أخرى، تبني بيرو مساحة للتأليف النسائي. الأهم من ذلك، من خلال سرد تاريخها الشخصي عبر وسيط الكافي، تتحّت بيرو نصاً كويرياً، يقطع مع التقليد الذكوري للكتابة وفق النمط الكافي.

- Ahmed, Sara. "Queer Feelings." *The Cultural Politics of Emotion*. Routledge, 2nd edition, 2014 [2004].
- Ahuja, Ameena Ahmad, and Bindu Chawla. "The River of Hindustani Music." *India International Centre Quarterly*, vol. 24, no. 2/3, 1997, pp. 178–86.
- Anjum, Tanvir. "Androgyny as a metaphorical practice in South Asian sufi culture." *Journal of Asian Civilizations*, vol. 38, no. 1, 2015, pp. 91–112.
- . "The Emergence of Muslim Rule in India: Some Historical Disconnects and Missing Links." *Islamic Studies*, vol. 46, no. 2, 2007, pp. 217–40.
- Anzaldúa, Gloria. *Borderlands/La Frontera: The New Mestiza*. Aunt Lute Book, 2012 [1987].
- Asani, Ali S. "Sufi Poetry in the Folk Tradition of Indo-Pakistan." *Religion & Literature*, vol. 20, no. 1, 1988, pp. 81–94.
- Asher, Catherine B., and Cynthia Talbot. "The Expansion of Turkic Power, 1180-1350." *India Before Europe*. Cambridge University Press, 2006.
- Bal, Gurpreet. "A 19th Century Woman of Punjab: Peero." *Indian Journal of Gender Studies*, vol. 10, no. 2, 2003, pp. 183–200.
- Boivin, Michel. *The Sufi Paradigm and the Makings of a Vernacular Knowledge Colonial India: The Case of Sindh (1851-1929)*. Springer Nature, 2020.
- Chatterjee, Sharaddha. "Post-script." *Queer Politics in India: Towards Sexual Subaltern Subjects*. Routledge, 2018.
- Cixous, Hélène, and Catherine Clément. *The Newly Born Woman*, translated by Betsy Wing. University of Minnesota Press, 1986.
- Crapanzano, Vincent. *Tuhami: Portrait of a Moroccan*. The University of Chicago Press, 1980.
- Dasgupta, Atis. "Islam in Bengal: Formative Period." *Social Scientist*, vol. 32, no. 3/4, 2004, pp. 30–41.
- Garrett, Clarke. "Women and witches: Patterns of analysis." *Signs: Journal of Women in Culture and Society*, vol. 3, no. 2, 1977, pp. 461–470.
- Gilbert, Sandra M. "Introduction." *The Newly Born Woman*, authored by Hélène Cixous and Catherine Clément, translated by Betsy Wing. University of Minnesota Press, 1986.
- Kazmi, Sara. "Radical re-tellings of Hir: gender and the politics of voice in postcolonial Punjabi poetry." *South Asia Multidisciplinary Academic Journal* [Free-standing article], 2019, pp. 1–19
- Khan, Pasha M. "A Handbook for Storytellers: The Tīrāz al-Akḥbār and the Qissa Genre." *Tellings and Texts: Music, Literature and Performance in North India*, edited by Francesca Orsini and Katherine Butler Schofield, 1st ed. Open Book Publishers, 2015, pp. 185–208.
- Kugle, Scott A. "Haqiqat al-Fuqara: Poetic Biography of 'Madho Lal' Hussayn (Persian)," with Hussayn's poems (Punjabi) translated by Aditya Behl. *Same-Sex Love in India: Readings from Literature and History*, edited by Ruth Vanita and Saleem Kidwai. Springer Nature, 2000, pp. 145–156.
- . *Sufis and Saints' Bodies: Mysticism, Corporeality and Sacred Power in Islam*. University of North Carolina Press, 2007.
- Leslie, J. "A bird bereaved: The Identity and Significance of Valmiki's Krauñca." *Journal of Indian Philosophy*, vol. 26, 1998, pp. 455–487.
- Lochrie, Karma. "Mystical Acts, Queer Tendencies." *Constructing Medieval Sexuality*, edited by Karma Lochrie, Peggy McCracken and James A. Schultz. University of Minnesota Press, 1997.

- Lüdtke, Alf, and William Templer. "Introduction: What is The History of Everyday life And Who are its Practitioners?" *The History of Everyday Life: Reconstructing Historical Experiences and Ways of Life*. Princeton University Press, 1995, pp. 3–40.
- Malhotra, Anshu. "Bhakti and the Gendered Self: A Courtesan and a Consort in Mid Nineteenth Century Punjab." *Modern Asian Studies*, vol. 46, no. 6, 2012, pp. 1506–39.
- . *Piro and the GulabDasis: Gender, Sect and Society in Punjab*. Oxford University Press, 2017.
- . "Telling her tale? Unravelling a life in conflict in Peero's Ik Sau Saṭh Kāfiañ. (one hundred and sixty kafis)." *The Indian Economic & Social History Review*, vol. 46, no. 4, 2009, pp. 541–578.
- Novetzke, Christian L. *The Quotidian Revolution: Vernacularization, Religion, and the Premodern Public Sphere in India*. Columbia University Press, 2016.
- Preman, Piro. *Aik Sau Sath Kafian*, translated by Ayesha Latif. Unpublished.
- Pugh, Tison. "Queering Genres, Battering Males: The Wife of Bath's Narrative Violence." *Journal of Narrative Theory*, vol. 33, no. 2, 2003, pp. 115–42.
- Oberoi, Harjot. *The Construction of Religious Boundaries: Culture, Identity and Diversity in the Sikh Tradition*. University of Chicago Press, 1994.
- Ramanujan, A. K. "Where Mirrors Are Windows: Toward an Anthology of Reflections." *History of Religions*, vol. 28, no. 3, 1989, pp. 187–216.
- Riencourt, Amaury de. *The Soul of India*. Honeyglen Publishing Ltd, new edition, 1999 [1960].
- Singh, Neeti. "Punjab's First Woman Poet: Peero of Hybrid Bhakti Transgression and Apostasies." *Anekaant: A Journal of Polysemic Thought*, no. 9, 2018-19, pp. 37–41.
- Singh, Ranjit. *State Formation and Establishment of Non-Muslim Hegemony*. Sage Publishing, 2015.
- Talbot, Ian, and Tahir Kamran. *Colonial Lahore: A History of the City and Beyond*. Oxford University Press, 2016.
- Thapar, Romila. "The Image of the Barbarian in Early India." *Comparative Studies in Society and History*, vol. 13, no. 4, 1971, pp. 408–436.
- Vanita, Ruth, and Saleem Kidwa. *Same-Sex Love in India: Readings from Literature and History*. Springer Nature, 2000.
- Whittington, Karl. "QUEER." *Studies in Iconography*, vol. 33, 2012, pp. 157–68.